

الحياة صادقة!

٢ - العدل الالهي!

مقدمات لا درراك واليهن

[مهتدة إلى العفاد الكبر ءاسبة

مقاله د تبارك رزاق البرايا]

للأستاذ عبد المنعم خلاف



٦ - لقد وجدت من حمن حظ الإنسانية في هذا العصر نظم سالحة تسمح لدعوات الحق والصالح أن تتخذ طريقها وزاخم في أسواق الحياة بدون عوائق غير طبيعية ، بعد أن قدست حرية الفكر والقول وسمح لكل فرد أن يقول ما عنده بدون سباب أو أذى .

لقد تيقظت الإنسانية لحياتها وقيمتها ، وعرفت قيمة الفرد فيها ، فأفسحت الأمم الراتية له المجال ليخدمها بالقول والفعل مما كان مبدءوا إليه جديداً غريباً ، ومتى أخذ الناس أنفسهم أن يسمعو لكل قائل ثم يحاكموه إلى العقل فهم في تقدم . فلي كل مظلوم أن يصرخ ! وعلى كل داع أن يتكلم ، وعلى الجماعة أن تسمع لهذا وهذا .

والظلم السياسي أو الاقتصادي من القوى أو الغنى للضعيف المحروم هو الذي يجعل الإنسان يكفر أو يشك في العدل الالهي . . وطبيعي أن الله لا يتدخل في كل شيء بين الناس تدخلا ظاهراً . . وهو قد أقام قوانين الطبيعة حدوداً يتحاكم الناس إليها . . فالتار تحرق من يضع يده فيها سواء أكان صدبقا أم عدواً . . والتردى من شاهق يهلك ، والتعرض للرض يمرض ، والماء يفرق . وهكذا كل عمل له نتائج الحتمية لأنها قوانين طبيعية لا تبدل لها ولا تحويل . . والله يترك لقوانين الطبيعة المقاب الطبيعي على كل مخالفة يرتكبها الفرد أو الأمة نحو تلك القوانين . ذلك ظاهر واضح في مجال الطبيعة .

وأما في مجال الإنسان فالاختيار أفسد عنده كثيراً مما كان يجيد أن يسير عليه سيراً طبيعياً ، لئلا قد ملأ حياته بالهوان .

فالظالم يظلم وعلى المظلوم أن يثار لنفسه ، ولو كلفه ذلك حياته . ذلك حكم الطبيعة وردها الإيجابي كما ردت بالأحراق على من دس يده في النار . . ولكن المظلوم كثيراً ما يغفل ويهمل الإصرار على أخذ حقه ، وكثيراً ما تبطي الجماعة أو تهمل في رد حقه عليه .

وما دمنا نعيش في جماعة فلا بد أن تتولى هي الأخذ بثار المظلوم من ظالمة حتى لا يتفرط العقد الاجتماعي . . فإذا فرط المظلوم في حقه ، وإذا فرطت الجماعة في الانتصاف له كان هنا حينئذ قانون طبيعي اجتماعي اعتدى عليه وخولف ولم يكن له من الإنسان تصحيح ورد لقيمته . وكان وراء ذلك حتماً ثمة في الجماعة يتطرق منها الفساد . فليس الذنب هنا ذنب العدل الالهي ولكن ذنب الجماعة التي برهنت حين أهملت الاقتصاد من ظالماً أو ظالم أحد أفرادها ، مع أنها أقوى من ذلك الظالم ، على أنها لا تستحق الحياة الرشيدة لأنها لا تعرف قوانين المقاومة ، وعلى أنها غناء وقش يستحق أن تضفله قوة أخرى أصلح منه للسيطرة على الحياة .

إن الله يتقوّم النفس بالنفس كما يتقوّم أي قوة طبيعية بقوة مضادة لها ليضمن التناسق والصالح ودوام كل شيء كما وضعه وجعله يسير في دوراته الأبدية .

وإن حجته الناهضة على عدله أنه لم يجعل لأحد سيطرة على فكر أحد وشعوره القلبي . فلن تستطيع أية قوة أرضية أن تتحكم في فكرك وشعورك ، فإذا أحسست بظلم ، فأمام نفسك قوة حرة تستعين بها : هي حرية الحركة الفكرية والغضب لرد الظلم عنك ، فلا تغفل حقك في الحياة ، ولا ترضى بها غير كاملة الحقوق ، ولا ترضى بحياة الضعف مهما كلفك السى للقوة ، واستمع لهذا الصوت المتفجر من ضمير الكون بصيح بك :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ! فأولئك ما واهم جهنم وساءت مصيراً » .

٧ - وأول واجبات الجماعة أن تبحث عن أصلح رجالها لتوليها حكمها . أي أن توسد الأمر إلى أهله ، وأن تقيم حدود حياتها ولا تهاون أو تستثنى فيها ، ثم تترك لحاكمها أن يحكمها بالمداة والقوة القاهرة الرادعة

من قال ؟ ومن قال ؟ ومن قال ؟ آله قال هذا ! أم الجماعة الفاسدة هي قالت ذلك ونسبته إلى الله ، جعلتك تهجم على العدل الألهي الذي أقام الناموس الطبيعي بموازين لا تخطئ ولا تحابي ؟ ! اسمع ما يقول القرآن : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ؛ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . « وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها مسلحون » . « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فائقون » والتقوى كلمة جامعة ينبني أن يكون لها مدلولها الأول : وهو العمل الوقائي للخير ولدفع الشر . « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » إلى آخر الآية التي مر ذكرها .

٨ - قم إلى جسمك وقوه بالرياضة وحافظ عليه من عوامل الفساد ، ولا تأكل إلا ما يسمح لك به الطب ، ولا تصرف في الأكل والشرب ، ونق جسمك من الأخلاط والفضلات الضارة . . . ثم انظر هل يبقى به من سقم أو كلال إلا ما تستقبه الحياة العادية في الأرض ؟ !

وقم إلى منزلك ومتعه بهبات الله من الشمس والضياء والهواء والبعد عن العفوفات والرطوبات ثم انظر هل تجد فيه غير بهجة الحياة ؟

وقم إلى فكرك وعلمه وهذبه وسلحه بأدوات العصر وقلبه في أعاجيب السكون ، ثم انظر هل تجد بعد ذلك سخطا في نفسك وتشاؤما ؟ ! وقم إلى حواسك ومتعها بالجمال الباسح ولا تحرمها من زينة الله التي أخرج لعباده ، وأذهب عنها الملل والبأس وعنت الجد والعمل ببعض اللهو واللعب المشروع ، وغنى في غير غش وإن كنت حسن الصوت ، واسمع الفتاة والألحان في غير إسراف ، وارقص رقص الرجال ، رقص الفتوة وطفور القوة الذي لا تخفت فيه ولا شهوة ولا مخاصرة ، لتنفض عن كتفك أعباء الهموم في بعض ساعات حياتك .. واضحك من قلبك كطفل ، وافرح بالشمس والقمر ، وأسلم جسمك للنسمات . ولكن احذر أن تحول الاحساس بالراحة من عنت الأعمال الجدية إلى شهوة تتملكك وتسلبك التحكم في إرادتك وتعمك من أداء واجباتك . فإن هذه الملامح والزاحات ما حرمت عند بعض المتزمين إلا لأنها تطن على النفس وتعمها عن الواجبات . وكما أن الماء يحرم إذا أوردت شارب

ذلك هو أسلوب الله في حكم العالم : قوة وإحاطة ، وقهر وبقظة ، وعدالة ومجازاة .

وإن الجماعة هي المسئولة عن كل ظلم أو فساد يتطرق إليها . وإن الله لا يتدخل بتغيير شيء في حياتها إلا إذا أرادت وغيرت ما بنفوسها ، إنه جعلها في الأرض صاحبة سلطان يكاد يكون مطلقا في شئون حياتها الاجتماعية وعلى هذا فهو غير مسئول عن توزيع الثروات توزيعا ظالما ولا عن شيوع الجهالة والآثام .

من قال إن لكل إنسان الحق في أن يملك جزءا كبيرا من نروة وطنه التي جمعها له كثيرون من الهال والفقراء ، ثم لا يؤدي حق الفقير والمحروم ، ويترك أبناءهم يبحثون عن اللقمة والخزقة في الزايل كما ترى ! بينما هو يكاد رأسه يتحطم بعمليات حساب أمواله السكدسة ! ؟

من الذي أباح للإنسان أن يملك أكثر من حاجات نفسه وكالياتها في متوسط عمر الإنسان ؟ فإذا كفل أن يملأ مطبخه كل يوم بألوان مختلفة كثيرة ، وداره بالفرش والرياش الفاخرة ، واسطبله بالخيول المطهمة والسيارات الفخمة ، وفناء داره بالأزهار وهكذا . . . فإياه يشع على أمته فيما وراء ذلك ؟ !

فإذا تمتع كما يحمله وأفرط في ذلك حتى مرض فإياه ينسب ذلك المرض إلى الله ويسخط عليه ؟ !

من قال للإنسان الغنى ، أو الفقير : احشد على مائدتك كل مادة مغلظة . . أو كل لحم المريض من البهائم ، أو كل ما لا ينطقه أحشاؤك . . أو كل طعام الصيف في الشتاء وطعام الشتاء في الصيف ، أو أفرط في السهر وعربد وأطلق لأهوائك وشهواتك العنان وسوف لا يكون من وراء ذلك شقاء ولا هم يحزنون ؟ ! ومن قال لك : كن قوادا لقلان . . أو ماسح حذاء فلان ، أو نمالاه لترقى أو تنال درجة أو وظيفة ؟

ومن قال لك : بيع حريتك واجعل خدك مداسا وقل للكلاب : يا سادى . . في سبيل الخبز القذر المعجون بدموع الذلة ! ومن قال لك : اترك ابنك قدر الجسم والثوب عليه التراب والذباب لأن العمر بيد الله ؟ !

ومن قال لك : لا تحافظ على الطفولة « منطقة نمو الإنسانية » وأخرجها ضئيفة جاهلة ؟ !

ومن قال : إن الحياة آلام ومشقات ؟

ولكنها تحطم وتفسد في نفس الوقت . ومع ذلك فقد تصبح في بعض الاحيان شرا لا بد منه »

فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير الى أسلوب « القرآن » وتحكمه في عوالم الأدب العربي ، وغضبوا لهذا الفهم جدا ...

وأنا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، وأن أحكم الحس الديني في مسألة أدبية

إن هذه الواقعة غير صحيحة في ذاتها ومن أساسها بالقياس الى الأدب العربي وعكسها هو الصحيح . الأمر الذي اعتدبت اليه في كتابي الذي مر ذكره ، قد يبدو عجيبا لأول وهلة .

إنني أزعج أن الادب العربي لم يستفد بمقدار من أسلوب القرآن طوال هذه الاربعة عشر قرنا من الزمان ! بله تحكم هذا الاسلوب في نموه ! لقد بقي القرآن مجهولا - من مناحية الفنية - طوال هذه القرون من العرب وغير العرب على السواء . في الوقت الذي نضج البحث فيه عن النواحي التشريعية والاجتماعية والتاريخية واللغوية ...

إن سر التعبير القرآني قد بقي مغلقا ، فلم يتأثر به الادب العربي في صميمه مجرد تأثر . هناك اقتباسات وعحاكاة لفظية ، ولكن الطريقة والابحار قد بقيا مرارا متلحا الى الآن ، ولو قدر للأدب أن يستقي من هذا العين لكان اليوم غير ما كان ... إن عيب الادب العربي الاول - كما قلت في مقالي بالرسالة - أنه ضئيل الحظ من الصور والظلال ، وأن الذي يقلب عليه هو الماني الذهنية والحسية ، والتعبيرات المباشرة التي لا تلقى ظلا ولا تشع حياة . وهو في هذا تقيض الاسلوب القرآني الذي يجعل الصور والظلال قاعدة في التعبير ، والذي يحيل الماني المجردة والحالات النفسية صورا ومشاهد وظلالا . كما يحيل كل جامد في الطبيعة شخوصا حية وكل مشهد من مشاهدها جديد كأنما تراه العين أول مرة والذي يصور الماني الذهنية كما تبدو من خلال نفس حية ... وهذا ما ينقص الادب العربي ليبلغ مداه .

ولن أستطيع هنا ضرب الامثلة ، ولا سرد بحث قد استغرق مني أكثر من مائتي صفحة . ولكنني أستطيع أن أجزم بعد الاستقراء الممكن للشعر العربي أنه لم يستق من معين القرآن . قد تحكمت فيه - مع الاسف - تقاليد الشعر

عن الماني والالفاظ كل على انفراد . فلن يبرز المعنى الواحد الا في صورة واحدة ، فاذا اختلفت الصورة اختلف المعنى بقدر اختلافها . وقد لا يتأثر المعنى العام في ذاته ، ولكن صورته في النفس والذهن تختلف ، وهي المعمول عليها في الفن ، اذ التعبير للتأثير ، فاذا اختلف الأثر الناشئ عنه ، فالعنى المنقول يختلف بلا مرأه ! »

هذا ما كتبته يومذاك . وفيه اقرار بالفضل للمفكر الاول ، مهما يكن في عرضه للرأى من تقصير ، ذلك أنه لا يطالب بالكمال في ذلك الزمن البعيد

ثم يستطرد المؤلف إلى أن اللفظ قد استبد بالادب العربي وأن آداب اللغة العربية جميعها آداب لفظية ، وشيء كثير من هذا صحيح . هو صحيح بالقياس الى الأثر العربي بلا جدال . أما بالقياس الى الشعر فالأمر قد يختلف . ذلك أن هذا الشعر على ما فيه من عيوب تعرضت لها في مقالين قريين بالرسالة واقتبس منهم الأستاذ عادل في الاستشهاد على هذا الرأى بعض الفقرات - أقول على الرغم من ذلك فإنه لم يحل من القليل الجيد الحى المبر عن الحالات النفسية والخلجات الطبيعية ، التي تجرذ فيه من وراء الالفاظ حتى لتتوارى هذه الالفاظ ، والمجال لا يتسع هنا لفرد الأمثال ، فأنا مهمل عنها إلى قضية أخرى تعرض لها الأستاذ عادل تعرضا لم يرض الكثيرين وذلك حين يقول :

« ولعل مما يلقي بعض الضوء على سر استبداد اللفظ بأدباء العرب ما قاله « موم » بعدد الأسلوب الأدبي في أمريكا . ففى رأيه أن هذا الأسلوب الذي تستمد معظم مقوماته من لغة الجمور والحية يعتبر - في نماذجه الجيدة - أكثر أصالة وحيوية من أسلوب الكتاب بالكتاب الانجليز . وهو يرجع علة ذلك إلى أن الكتاب الأمريكيين نجوا من استعباد الترجمة الانجليزية للثورة التي وضعت في عصر الملك جيمس » كما أنهم كانوا أقل تأثرا « بالاسانذة » الانجليز القدماء . والحق إن تحكم كتاب بعينه في أدب شعب من الشعوب - ومثله تقديس كاتب أو نخبة من الكتاب - معناه منع هذا الأدب من النمو والتطور ، الوقوف به عند حد معين لا يتعداه إلا بالثورة . والثورة تصلح

عجزة ، وأنه آن للشعر أن يرتد غناء ، وغناء غلب !
إن الشعر العربي لم يتخلف لأنه غناء ، ولكن لأنه لم يكن
غناء حقاً فلم يعرف كيف يفنى فينتقل من قيود الحس والذهن
إلا في القليل منه ، وهذا هو أخلد قسم فيه .

ونحن لا نوافق رأى أرسطو الذي يستشهد به الأستاذ
عادل : « إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أقل حديث ممكن
وإلا فهو ليس بالصور والمحاكي لأعمال الرجال كما يفترض فيه »
فلأرسطو أن يقول في هذا ما يشاء . فنقول له : كلا ! إن
على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أكثر حديث ممكن ، وله ألا
يلتفت مرة واحدة إلى سواء !

ولدينا مباحث كثيرة قد أثارها الأستاذ عادل عن طبيعة
اللغة العربية وعيوبها الذاتية كافة ، والخلاف بيننا وبينه طويل
في هذه المباحث ، وإن واقفنا في الكثير منها ، فنحن لا نرى
النقص في صميم اللغة ، ولكن في أساليبها ، والأسلوب من صنع
الأدباء وعليهم وحدهم أن يطوعوه . وعلى كل حال فنحن لا نجد
الفراغ الكافي للجدل حول هذه المباحث ، لأننا نريد أن نمرض
لنقطة أخيرة .

تلك هي مسألة الأخلاق ، ومسألة الكتابة عن المظالم ،
وبينهما نوع من الارتباط ، ولا نحب أن نطيل القول في هذا
الجمال ، فلنرجع به إلى قاعدة محدودة .

أمن الخير للإنسانية أن تنطلق مع غرائزها وشهواتها - بلا
ضابط ولا قيود - أم من الخير للإنسانية أن تكون هناك
كوابح وزواجر في صورة من الصور ؟

وبتميم آخر : أمن الخير للإنسانية أن تظل خاضعة للغرائز
خاضعة للشهوات . أم من الخير للإنسانية أن تتحرر من هذه
الضرورات - ولو بالتساي والتصعيد إذا كانت لم تبلغ حتى
اليوم درجة التحرر التام ؟

أما نحن فلا تردد في اختيار الوضع الأخير . وأما الأستاذ
عادل فيجمل (جماعة القلم) في قصته يرون الخير كله في إباحة
كل محرم ، وفي الانطلاق من جميع القيود الأخلاقية ، للوقوف
في جميع القيود الفيزية !

وهذا هو مفرق الطريق !

ثم إنه ينكر على بعض كبار الأدباء عندنا ، ويستشهد في

الجاهلي فترة طويلة بمد وجود القرآن ، ثم تحكمت فيه المباحث
الفلسفية والذهنية منذ القرن الثالث بل قبل ذلك ، فصار في
معظمه أدبا حسيًا ثم أدبا ذهنيًا ، وقلت فيه الصور والظلال ،
لأنه أبعد عن معنى الصور والظلال . فإذا آن له اليوم أن يرجع
إلى هذا المعين ، فسيجد فيه الزاد الكثير ! ... إذا كان تحكم
كتاب بيمينه في الأدب الإنجليزي قد عوق غصوه فالتنا كتنا
تدنى تحكم كتاب بيمينه في الأدب العربي ليدفع به إلى الأمام .

وعلى كثرة ما أجاد الأستاذ عادل وهو يتحدث عن عيوب
الأساليب العربية في النثر ، وعن الحسية والذهنية في الشعر ،
وعن القصور الميب في قواعد النقد ، فقد كان اندفاعه العنيف
في هذا المجال سببًا في تجاوز القصد ، ومجانبة الصواب في بعض
الأحيان . إننا نتفق معه في وجوب أن نملك نحن اللغة ولا ندعها
تملكنا بأساليبها التقليدية ، وكل ما ذكره في هذا الصدد بالغ
غاية الجودة ، ولكنه حين يتجاوز هذه المنطقة بأخذ في التلو .
يقول مرة : « موضوعات الشعر العربي - فيما عدا الغزل -
هي الحكم والفلسفة ، ثم النقد في صورة هجاء والوعظ في صورة
مدح . فإذا تركنا الغزل جانبًا وجدنا أن هذه الأغراض جميعا
أجنبية عن الشعر ، لا بوصفه نظماً ، ولكن بوصفه أداة تعتمد
على إثارة الخيال . . . »

وفي هذا الكلام غلطة أساسية . فليس هناك موضوع
للشعر وموضوع للنثر . إنما الميزة بطريقة تناول الموضوع . ففي
بعض حكم المتنبي مثلاً شعر أصيل ينبعث من نفس حية ويوحى
بشئ الانفعالات ، وفي هجاء ابن الرومي صور فنية بارعة مليئة
بالحياة ، وفي بعض الوصف للبحترى إيماءات وظلال شاعرية ..
وهكذا .

فن الخير أن ننظر في الفن دائماً إلى طريقة تناول الموضوع
لا إلى ذات الموضوع . فكل موضوع قابل للفن وقابل للفن
وقابل للفلسفة هل يحو من الانحاء .

ورأى آخر في الشعر الثنائي .. فإني أرى بيننا فتنة لا تنتهي
بالشعر القصصي والشعر الروائي . وأنا أزعم أن الأصل في الشعر
هو الثناء . الثناء القدائي الفردي . وأنه حين يتجاوز هذه المنطقة
يكاد يتصدى خير بحالته . وأنه إذا كان الشعر القصصي أو الروائي
قد راجع في حقب من الزمان ، فإنه الآن غير قابل للحياة إلا

أذى كذلك تحرم هذه .

وقم إلى طفلك واحذر أن تلقى بذرة إنسانية مسمومة بالغر أو الأمراض الخبيثة حتى ينبت وهو صحيح في ظلمة الرحم ثم حافظ عليه وهو حمل جنين فلا تجعل مؤثراً عنيفاً يؤثر فيه حتى يخرج الطفل بريثاً من عوامل الالتواء والاعوجاج فتمهده وتيقظ لتنعية حواسه وجسمه وافتح روحه وثقفه ، وكله وهذبه .

وقم إلى روحك فاعتقد لها العقيدة الصالحة الصحيحة وتعبد بمقتضاها حتى توقظ فيك حياة الاتصال ببارئ الكون وتجعلك تحمّل عليه جميع أمورك وهمومك وآمالك ، وتقدم إلى وجهه جهادك وصبرك . ثم قم إلى الجماعة التي تميز فيها وأقمها على المطلق والمصلحة العامة واحمل الناس على الانصاف فإنك حينئذ ترى الفردوس المنشود .

٩- كل هذا قد لا يملك الفرد لنفسه وذريته وحياهه ، ولكن تملكه الأمة لأفرادها إن أرادت ، وإرادتها حينئذ تكون من إرادة القدر الأعلى . . بل إرادة النفس هي بدء إرادة القدر الذي في حدود قوانين الحياة . أما القدر الذي يأتي من وراء الحدود فذلك أمره إلى الله وحده . وهو قليل ونادر جداً .

إن محمداً رسول الله هزم هو وجيشه في يوم « أحد » ويوم « حنين » لأن فئة من جيشه لم تأخذ بما أمرها به العقل ففكرت في أحد أما كتبها في الصفوف لشهوة صغيرة ، وأعجبها كثرتها في حين فلم يحجب قدر الله الجميع ولو كانوا أصحاب محمد لأن القدر لا يحابي من يخالف قوانين الحياة . وفي ذلك إرشاد بالغ للمسلم حتى يعتمد على فكره وإرادته بعد أن يطلب التوفيق من الله :
إني أنصبر في بعض الأحيان أني ألتفت بنفسي في النيل ، أو لم أنحرف عن طريق ترام مقبل أو سيارة شبراً واحداً ، فإذا بحيايتي تصبح لأنني أنكرت قوة من قوى الطبيعة لم أحسب حسابها أو استهزأت بها . وهي ذات بأس الحديد أو صق النار أو زهر الماء .

إن الذي يقرأ القرآن مليون مرة في مواجهة عدو مسلح لا يجديه ذلك شيئاً كما يجديه أبى ينفذ آية واحدة منه وهي :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . الخ » ! ذلك لأن اللص لا يجديه شيئاً أن يحفظ أو يتلو قانون العقوبات ، لأن هذا

القانون لم يوضع للتلاوة والاستظهار بل للتنفيذ .

فالأوامر القرآنية منزلة لتنفيذها وإقامة الحياة بها لا « لحفظها » وإهمال تطبيقها . وتلك حقيقة أخطأ كثير من المسلمين فهمها مع الأسف .

وطبما ليس في هذا وعد بالجنة في الأرض بناء على تنفيذ هذه الوصايا . . ولكن في هذا حزيمة عن النار . . عن جحيم السخط والألم والسكران والجحود والشك في قيمة الإنسان وفي العدل الأعلى وعن النظر إلى حياة الدين كحياة كتابة وصف وحزن وضئى وألم وسخط وندم .

وبعد « فلنحاسب » الله « ولنجاكم » عدله الأعلى بعقل سام وفكر كبير كفكره تعالى في الطبيعة كلها . . وهذا لا يكون إلا إذا نظرنا إليه تعالى نظرة تتمثل فيها الإنسانية كلها لا نظرة أمة أرجاءة يزعمون أنهم شعبه المختار ، فهم لذلك يعتقدون أنهم أحق بكل ثروات الأرض وقوة الأرض وجنة السماء ! أو نظرة جماعة ذليلة مستعبدة فقيرة يملكون أن يموتوا أحراراً ولكنهم لم يفعلوا ورضوا بمذلات الحياة .

فمن سوء الإصرار وقلة الانصاف أن نظل نحاسب عدل الله بمقول أطفال قصار النظر يريدون أن يستأثروا بحبه تعالى لهم وحدهم وبحاربوا من عداهم من عياله .

ومن المضحك أن كل شعب يزعم أنه الشعب المختار . . أفراد أبناء الله وأحباؤه ! ومن المؤسف أن كل فرد في كل شعب غير مهذب يريد ثروة الحياة كلها لنفسه وحدها !

إننا نستطيع أن نقيم العدل الأعلى في الأرض وأن نحمل على السادة إذا تحرروا من تاريخ طفولة البشرية الذي لا يزال يصاحبنا ويتمثل في غرائز الإنسانية تمثلاً فظلياً بحيل حياة كل أمة إلى شقاء ، ويجعلنا كلنا نخسر التمتع اللائق بهذه الرحلة السعيدة التي دعاها الله إليها على هذه الأرض ، ويؤخر تقدمنا العلمي الذي يفتح علينا بركات من السماء والأرض تطلعنا من جوع وتؤامتنا من خوف وتزودنا من طمأنينة اليقين بعدل الله والرضا عن الحياة .

هبة الحنعم مرفوف